العلاقات التركية – الأذربيجانية ٢٠٠٢-٢٠١٧

م. د. أفراح ناثر جاسم
قسم الدراسات التاريخية والثقافية
مركز الدراسات الإقليمية/ جامعة الموصل

Email: dr.afrah_jassim@uomosul.edu.iq

تاريخ الاستلام ٨/ ٦/ ٢٠٢٠

تاريخ القبول : 20/ ٦/ ٢٠٢٠

الملخص

تحظى علاقات تركيا باذربيجان بأهمية بالغة كونها علاقات قائمة على المصالح المتبادلة المدعومة بمرتكزات وعوامل تاريخية وثقافية مشتركة أسست لعلاقات ايجابية، فكلا الدولتين تمثل اهمية بالغة بالنسبة للأخرى، وقد شملت هذه العلاقة جوانب عدة سياسية واقتصادية وعسكرية، عكستها تبادل الزيارات الرسمية وتناسق مواقف الدولتين اتجاه العديد من المسائل الخارجية ، اما في الجانب الاقتصادي فقد احتل قطاع الطاقة الحيز الاكبر من المشاريع المشتركة فضلاً عن التجارة والاستثمار، بينما تضمن الجانب العسكري اتفاقيات وصفقات ومناورات عسكرية عكست مستوى علاقاتهما واتفاقهما حول المسائل الامنية لكلا الدولتين.

تناولت الدراسة التي قسمت الى اربعة محاور جذور العلاقات بين البلدين للفترة ١٩٩١-٢٠٠٢

، كما تطرقت الى العلاقات الثنائية بين البلدين في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية المختلفة للفترة ٢٠٠٢-٢٠١٧.

كلمات مفتاحية: تركيا- أذربيجان- علاقات تركية اذربيجانية

Turkish - Azerbaijani relations

2002-2017

L.Dr. Afrah Nathir Jasim / Historical and Cultural Studies Department / Regional Studies Center/ Mosul University

Email: dr.afrah_jassim@uomosul.edu.iq

Abstract

The Turkish-Azerbaijani relations are a model of international relations based on strategic interests supported by pillars and factors based on a common history and culture that established positive relations, and both countries are of great importance to the other. Harmonization of attitudes towards issues related to the security of the two countries. Economic cooperation was the most prominent area of bilateral relations, especially with regard to energy sources. As for the military, it reflected agreements, deals and general maneuvers. The level of bilateral relations and the two countries' agreement on security issues for both countries.

The study dealt with the roots of the bilateral relations between the two countries for the period 1991-2002, and also included a discussion of bilateral relations in various political, economic and military fields

Keyword: Turkey-Azerbaijan- Turkish - Azerbaijani relations

المقدمة :

تستند العلاقات التركية – الاذربيجانية على مصالح جيوسياسية متبادلة مدعومة بمرتكزات وعوامل قائمة على تاريخ وثقافة مشتركة أسست لعلاقات ايجابية، وكلا الدولتين تمثل أهمية بالغة بالنسبة للأخرى، اذ تمثل اذربيجان مدخل تركيا إلى منطقة آسيا الوسطى والقوقاز وهي نقطة ارتكاز تركيا لتوازن القوى في منطقة تشهد تنافسا دوليا عقب انهيار الاتحاد السوفيتي ونيل عدد من الدول استقلالها، وهي احدى اهم مرتكزات مشروعها الطوراني "العثمانية الجديدة " الهادف لجمع الدول الناطقة باللغة بالتركية ضمن أمة واحدة او ضمن تكتل اقليمي تتزعمه تركيا، كما تمثل تركيا نموذجا يحتذى به لأذربيجان الباحثة بعد الاستقلال عن فلسفة حكم جديدة توفر لها موقعا دوليا بعيدا عن فلسفة الحكم الروسية او فلسفة الحكم الإسلامية المتمثلة بإيران، وهي وسيلة لربطها بالعالم الغربي.

شملت علاقات البلدين مجالات عدة سياسية واقتصادية وأمنية، عكستها تبادل الزيارات بينهما وتناسق المواقف تجاه قضايا عدة تخص أمن الدولتين، أما في الجانب الاقتصادي فقد كانت مصادر الطاقة ابرز اوجه التعاون خاصة بعد انشاء خطوط نقل الطاقة من أذربيجان الغنية بهذه المصادر عن طريق تركيا إلى دول اوروبا، فضلاً عن التجارة والاستثمارات المتبادلة، بينما تضمن الجانب العسكري الاتفاقيات والصفقات والمناورات العسكرية المشتركة التي عكست مستوى العلاقات الثنائية واتفاق الدولتين حول المسائل الأمنية لكلا الدولتين.

فرضية الدراسة تقوم على وجود علاقة بين دولتين تمتلك احدهما تاريخا طويلاً من الحكم ومؤسسات سياسية وتاريخ من التحالفات الدولية فيما تعد الاخرى حديثة عهد بالاستقلال وتبحث عن نموذج تقتدي به، وتهدف الدراسة إلى الأجابة على جملة من الاسئلة هي، كيف ستكون هذه العلاقات؟ وما هي مرتكزات ومصالح الدولتين من هذه العلاقات؟ وما هي نقاط الالتقاء والاختلاف بين الدولتين؟ والتي تحكم مسار هذه العلاقات وما هي ابرز مجالاتها؟.

أما أهمية الدراسة فتنبع من أن هذه العلاقات الثنائية بين الدولتين تدعمه قوى دولية ابرزها الولايات المتحدة الامريكية واوروبا، في محاولة لإيجاد توازن دولي في القوقاز القريبة من روسيا وإيران عن طريق دعم الوجود التركي الحليف للولايات المتحدة والعضو في حلف الناتو، وهي أيضاً طريقاً لإيصال موارد الطاقة من النفط والغاز الطبيعي ليس فقط من اذربيجان بل من منطقة بحر قزوين والبحر الاسود.

قسمت الدراسة الى مقدمة وأربعة محاور وخاتمة، شمل المحور الأول جذور العلاقات بين تركيا وأذربيجان كتمهيد للدراسة، فيما خصص المحور الثاني للعلاقات التركية الاذربيجانية في المجال السياسي ٢٠٠٢–٢٠١٧، أما المحور الثالث فقد تناول العلاقات في المجال الاقتصادي للفترة موضوع البحث وتضمن المحور الرابع العلاقات في المجال العسكري ٢٠٠٢–٢٠١٧، وتضمنت الخاتمة ابرز النتائج .

أولاً: جذور العلاقات التركية – الأذربيجانية

حظيت أذربيجان بأهمية كبيرة في سياسة تركيا الخارجية تفرضها طبيعة موقع أذربيجان الجغرافي وروابط التاريخ والثقافة والقومية المشتركة بين البلدين، إذ تقع أذربيجان جنوب غرب منطقة بحر قزوين ويحدها من الشمال روسيا، ومن الغرب أرمينيا وجورجيا ومن الجنوب إيران ، وتبلغ مساحتها (٨٦,٥) الف كم٢، ويتبعها إقليم (ناختشيفان او نخجوان) المتمتع بحكم ذاتي والبالغة مساحته (٥٥٠٠) كم٢ وهو نقطة اتصال تركيا بأذربيجان بشريط حدود قصير يبلغ (١٥) كم٢. (البياتي، ٢٠١٦: ٢٥) اما عدد سكان أذربيجان فيبلغ وفق احصائية عام ٢٠١٢ قرابة (٩,٥٠٠,٠٠٠) نسمة يشكل الاتراك الغالبية العظمى بواقع (٩٠,٣%) اما بقية النسب موزعة من أصول روسية وارمنية، اما الديانة الرسمية فهي الإسلام ويشكل المذهب الشيعي (٩٣%) من السكان. (ملي، ٢٠١٤: ٥٣)

خضعت أذربيجان كبقية دول آسيا الوسطى والقوقاز للحكم السوفيتي، إذ أحتلها السوفيت في ٢٨ /١٩٢٠/٤ واعلن عن تأسيس " جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفيتية" وبقت تحت حكم السوفيت إلى تفكك الأخير عام ١٩٩١، اذ أعلنت اذربيجان استقلالها في ١٨ /١٠/ ١٩٩١. (خليفة، ١٩٩٠ : ٤٢-٤٥)

شكل تفكك الاتحاد السوفيتي فرصة تاريخية لتركيا تمثلت في انفتاح منطقة القوقاز ذات الاغلبية التركية أمامها لتحيي مشاريعها الطورانية والاستراتيجية في آن واحد، وتجدر الاشارة إلى أن طموحات تركية الطورانية أو ما يسمى اصطلاحا بـ"العثمانية الجديدة " ظهرت بشكل علني وعلى لسان رئيس تركيا أنذاك توركوت اوزال[1] (١٩٨٩- ١٩٩٣) منذ عام ١٩٨٩عندما اطلق شعار " الامة التركية من اسوار الصين الى الادرياتيك"، والذي عُزز باستحداث "إدارة الجاليات التركية في الخارج " وربطها بوزارة الخارجية ووظيفتها العمل على ربط الأقليات التركية في العالم بوطنها الأم تركيا وفي عام ١٩٩٠ عقد في إسطنبول مؤتمر (نحو أذربيجان الكبرى) تحت رعاية اوزال، ودعا المؤتمر إلى توحيد أذربيجان واعادتها إلى نطاق الأمة التركية. (نورالدين، ١٩٩٨: ٢٢٥)؛ (خليفة، ، ١٩٩٠: ٤٣)

اضافة إلى الطموحات والأفكار الطورانية فإن لكلا الجانبين أسباب ودوافع لإقامة علاقات متينة بينهما، بالنسبة لتركيا فان أذربيجان تعد نقطة تنافس متجددة للسيطرة على منطقة القوقاز المهمة للعديد من الدول(روسيا، ايران، تركيا والولايات المتحدة الامريكية)، كما أن أذربيجان تمثل لتركيا البوابة الوحيدة إلى هذه المنطقة، ومن جهة أخرى فان أذربيجان توفر سوقاً جديداً وبكراً لاقتصاد تركيا الذي حقق قفزة نوعية خلال عقد التسعينيات، كذلك امتلاك أذربيجان لموارد الطاقة المهمة من نفط وغاز طبيعي التي تفتقر اليها تركيا وتزداد حاجتها اليها باستمرار مع إمكانية حصولها على نفط أذربيجان بأسعار اقل تكلفة نظراً لقرب الحدود بين البلدين. (المجيد، ١٩٩٩: ١٨٩)

فضلا عن ذلك فان تركيا تملك عوامل تمكنها من اقامة علاقة حسنة مع أذربيجان منها:

١- ان دول القوقاز عموما وعلى رأسها أذربيجان تبحث بعد الاستقلال عن فلسفة جديدة للحكم، لذا عملت تركيا عل تقديم النموذج الديموقراطي العلماني لأذربيجان تدعمها في ذلك الولايات المتحدة الامريكية ودول أوربا خوفا من المد الإيراني

المعتمد على الفلسفة الإسلامية للحكم، ولملئ الفراغ الذي تركه تفكك الاتحاد السوفيتي في منطقة القوقاز واسيا الوسطى.[2]

٢- عامل الثقافة واللغة المشتركة، فأذربيجان هي الوحيدة في القوقاز التي تتكلم اللغة التركية القديمة وقرابة ٩٠% من سكانها هم من أصول تركية.

اما أذربيجان التي كانت حديثة عهد بالاستقلال، وجدت نفسها وسط تنافس دولي، فكان لابد للنخب السياسية الآذرية أن تحدد خياراتها الاستراتيجية مع أبعاد الخيار الروسي بسبب مشاعر العداء لروسيا التي حكمت أذربيجان فكانت أمام خيارين فأما أن تستلهم النموذج الإيراني و تصبح أذربيجان ضمن النظام الإسلامي الاسيوي بنسخته الإيرانية، او ان تستلهم النموذج التركي وتندمج في النظام الاوروبي، فكان الاختيار الأخير الذي رأت فيه اذربيجان حكم ديمقراطي علماني يوفر لها مستقبلاً الاندماج مع السياسة الغربية. (Ismailzade, 2018)

يرجع الاهتمام التركي بأذربيجان سياسياً إلى عام ١٩٨٩ إذ ساندت تركيا منظمة " الجبهة الشعبية لتحرير أذربيجان"، وبعد أن أعلنت أذربيجان استقلالها كانت تركيا الدولة الأولى التي اعترفت بها وذلك في ٩ /١٠/ ١٩٩١، وعملت على ارسال بعثات دبلوماسية. (المجيد، ١٩٩٩: ١٩١-١٩٢)

شهدت الفترة ١٩٩١- ١٩٩٣ التأسيس لعلاقات حسنة بين الدولتين وعملت أنقرة على تقديم المساعدة لأذربيجان التي تجاوزت في بعض الأحيان حدود المساعدة إلى التدخل بالشأن الداخلي لأذربيجان، فحين جرت محاولة الانقلاب على أول رئيس لأذربيجان (ياز مطالبيوف١٩٩١ -١٩٩٢) تدخلت أنقرة لحل النزاع ومنع أي تدخل إيراني أو روسي ربما يفضي إلى حكم أذربيجاني موالي لأحدهما أو كليهما، وبالفعل نجحت أنقرة في افشال الانقلاب، بعد ان ايدت " الجبهة الشعبية لتحرير أذربيجان" للسيطرة على الوضع وأعلان انتخابات فاز فيها مرشحهم أبو الفضل التشي بيك (١٩٩٢-١٩٩٣) المعروف بميوله إلى تركيا واعجابه بشخصية مصطفى كمال اتاتورك الأمر الذي انعكس ايجابيا عل العلاقات بين البلدين. (العلاف، ٢٠٠٨: ٤٢٢)؛ (الصباح، ٢٠١٦) ان تدخل انقرة في افشال الانقلاب ودعم وصول شخصية موالية لها يدل على علمها المسبق بالانقلاب أو عن وجود عمل استخباراتي تركي داخل اذربيجان.

تعد مسالة إقليم ناكورني قره باغ[3] ابرز مثال على مساندة تركيا لاذربيجان خلال الفترة ١٩٩١- ٢٠٠٢، ففي ١٠ /١١/ ١٩٩١ اعلن إقليم ناكورني قره باغ(مرتفعات قره باغ) ذات الأغلبية الارمينية استقلاله عن أذربيجان بمساندة أرمينيا، وعلى اثر ذلك نشب نزاع مسلح بين أذربيجان وأرمينيا استمر حتى مطلع ١٩٩٤، فضلاً عن احتلال أرمينيا لأراضي أذربيجانية أخرى تقدر بـ ٢٠% من مساحة أذربيجان وذلك لتوفير ممرات تصل بين إقليم ناكورني قره باغ وأرمينيا، هذا النزاع الذي يبدو للوهلة الأولى أنه نزاع بين دولتين، هو في حقيقة الامر نزاع دولي تتشابك فيه عدة دول ففي حين تدعم تركيا وامريكا أذربيجان، تتخذ روسيا وإيران جانب أرمينيا، إذ تدعم انقرة اذربيجان على المستويين السياسي والعسكري، سياسيا عن طريق دعم مطالب الأخيرة في سيادتها على إقليم قره باغ داخل اروقة المنظمات واللقاءات الدولية والتأكيد على

وحدة الأراضي الآذرية، أما عسكرياً فتذكر مصادر أرمينية في اوروبا أن تركيا أرسلت قوة الى أذربيجان مع كميات كبيرة من الأسلحة الثقيلة. (محفوض، ٢٠١٢: ١٦٣)؛ (العلاف، ٢٠٠٨: ٤٢٥)

من جهة أخرى عملت تركيا على ضم أذربيجان الى منظمات عديدة ومنها "منظمة التعاون الاقتصادي(ECO)" بعد توسيعها، كذلك شهد العام ١٩٩٢ تأسيس " منظمة التعاون الاقتصادي لحوض البحر الاسود" والتي الدول المطلة على البحر الاسود(تركيا، اذربيجان، جورجيا، أرمينيا، مولدافيا، رومانيا، اليونان، صربيا، بلغاريا، روسيا. (محفوض،٢٠١٢: ٢٦٣-٢٦٤)

شهدت أذربيجان في العام ١٩٩٣ انقلاب عسكري على الرئيس الأذري (أبو الفضل التشي بيك) قاده احد ضباط الجيش الأذري (سوران حسينوف)، وتم استدعاء الهيئة السياسية والرئيس السابق للحزب الشيوعي السوفيتي حيدر علييف (١٩٩-٢٠٠٣) الذي كان حاكما على إقليم نخجوان، الى باكو ليكون خلفا لالتشي بيك، لم يكن حيدر علييف على الرغم من علاقاته الحسنة مع الساسة الاتراك من دعاة الطورانية والميل إلى جانب تركيا كسابقه، بل كان يرى أن استقلال أذربيجان يكمن في إقامة علاقات حسنة مع جيرانها لذلك أعاد أذربيجان عضو في "منظمة الكومنوليث " التي تشمل الدول المستقلة عن الاتحاد السوفيتي، وأعاد العلاقات مع إيران، وصرح عن ضرورة تحسين العلاقة مع الغرب والسعي للانضمام إلى برنامج الشراكة مع الناتو من أجل السلام، هذه السياسة لم تكن لترضي انقرة التي حاولت عن طريق سفيرها في باكو دعم انقلاب داخلي على حكومة علييف عام ١٩٩٥ الا انها فشلت، رغم ذلك استطاعت الدولتين بدأ من عام ١٩٩٦ تجاوز حالة الفتور في علاقاتهما.(Ismailzade, 2018, : 4) ويمكن القول أن اذربيجان ترفض استبدال الهيمنة الروسية بأخرى تركية ورغبتها في اقامة علاقات مع كل الاطراف مبنية على احترام سيادتها واستقلالها.

اقتصاديا فلتركيا مع أذربيجان علاقات تفوق غيرها من دول المنطقة نظراً لعامل القرب الجغرافي(عبر جورجيا او عبر اقليم نخجوان، اذ رغم توتر العلاقات مع أرمينيا سياسياً الا ان الجوانب الاقتصادية بمنأى عن هذا التوتر) والروابط التاريخية، يضاف لها الخبرة التركية في الكثير من مفاصل الاقتصاد كالمقاولات وغيرها والتي وجدت لها في أذربيجان فرص متاحة للاستثمار، وقد وقعت عدد من الاتفاقات خلال المدة ١٩٩٢-٢٠٠١ . (البياتي، ٢٠١٦: ٢٦٩)

شهد التبادا التجاري بين البلدين نمو مطرد ابتداءً من سنة ١٩٩٢، إذ وصل حجم صادرات تركيا إلى أذربيجان عام ١٩٩٢ (١٠٢,٧) مليون دولار، أما وارداتها من أذربيجان فكانت (٣٥) مليون دولار ازدادت بصورة مطردة لتبلغ عام ٢٠٠١ (٢٢٥,٢) مليون دولار صادرات تركيا الى أذربيجان مقابل (٦١) مليون واردات من أذربيجان. (البياتي، ٢٠١٦: ٢٧٠)

ويحظى قطاع النفط والغاز الطبيعي بالمرتبة الأولى اقتصاديا للدولتين فأذربيجان دولة غنية بهذه الموارد بينما تفتقر اليها تركيا، اذ يبلغ احتياط النفط الخام الأذري ب (٧) بليون برميل، أما الاحتياطي من غاز طبيعي فيقدر (٣٠) بليون م٣، ما يوفر لتركيا مصدراً جديداً للطاقة يمكنها من تنويع مصادرها منه ويخفف من الاعتماد على الغاز والنفط المستورد من روسيا بالدرجة الأساس كما انه يوفر لتركيا الحصول على هذين المصدرين بتكلفة أقل بسبب كلفة النقل القليل لقرب البلدين، فضلاً عن انه يوفر لتركيا ميزة أخرى تكمن في كونها ممراً لموارد الطاقة من منطقة القوقاز وبحر قزوين عموما وأذربيجان بصورة خاصة إلى

أسواق أوربا، وبالتالي حصولها على موارد (عمولة) الترانزيت، أما بالنسبة لأذربيجان فهي بحاجة إلى طريق تصدير رئيسي لنقل نفطها إلى السوق العالمية وبما انها لا تملك سواحل خارجية فانها بحاجة الى دولة وسيطة، كما أن خطوط النقل من موانئ روسيا لم تكن تحظى بثقة اذربيجان ولم تكن الطرق عبر أرمينيا او إيران خيار جيد بسبب الحرب مع أرمينيا والاعتراضات الامريكية على إيران، لذا كان الطريق عبر جورجيا الى تركيا هو الخيار الأمثل لدى أذربيجان والدول الغربية، فجرى التوقيع عام ١٩٩٩ على مشروع خط نفط " باكور – تبليسي –جيهان BTC "، والبالغ طوله (١,٧٧٦) كم، (٤٤٠ كم داخل أذربيجان و ٢٦٠ كم داخل الأراضي الجورجية و ١٠٧٦ كم داخل تركيا) وبقدرة استيعابية تقدر ب مليون برميل يوميا. (Ismailzade, 2018:4-5)

عسكرياً، فقد دفع النزاع الأذري – الأرميني حول إقليم ناكورني قره باغ، أذربيجان الى توسيع قدراتها عسكرياً، فوقعت عام ١٩٩٢ "اتفاق التعاون العسكري للتدريب والتسلح "، كما وقعت في العام ١٩٩٦ اتفاقية بين وزارتي الدفاع التركية والاذربيجانية بشأن تدريب الفرق العسكرية والطبية والتعاون وتبادل المعلومات بين دوائر ومؤسسات الاجهزة الامنية في كلا البلدين، كذلك شهد عام ١٩٩٧ توقيع بروتوكول " التعاون الاستراتيجي العسكري" بهدف تأمين الحدود بين البلدين وتضمن تسيير، وفي عام ١٩٩٩ قدمت تركيا مساعدات مالية بقيمة (١٠) مليون ليره تركية الى وزارة الدفاع الاذرية، كذلك اشراك كتيبة عسكرية آذرية ضمن " قوات حفظ السلام في كوسوفو " ضمن خطة الناتو للتوسع شرقا.(Oztarus, 2017)

ثانياً: العلاقات التركية – الاذربجانية في المجال السياسي ٢٠٠٢ – ٢٠١٧

شهد عام ٢٠٠٢ تسنم "حزب العدالة والتنمية التركي" مقاليد الحكم في تركيا ومع وصول الحزب الجديد حظيت سياسة تركيا الخارجية بتغيرات جذرية، إذ ان الحزب كان قد وضع رؤية جديدة للسياسة قبل وصوله إلى سدة الحكم من خلال " نظرية العمق الاستراتيجي" التي اسس لها منظر الحزب (احمد داود اوغلو)[4] والتي رسم من خلالها سياسة تركيا وفق جملة مبادئ والتي تمثلت في:-

١. التوافق بين الحرية والأمن الداخلي والإصلاح السياسي داخليا مع عدم اهمال الجانب الأمني للحفاظ على أمن البلاد وهو ما يجعل تركيا دولة نموذجية لغيرها من الدول.
٢. تصفير المشكلات مع دول الجوار وحلها بما يوفر محيطاً دولياً امناً لتركيا خالياً من المشاكل ويمكنها من ايجاد علاقات حسنة مع كل الدول وان تكون على مسافة متساوية من الجميع.
٣. تركيا دولة مركز، اي جعل تركيا دولة مركز للعديد من المناطق في آسيا و أوربا والانتقال بها من صورة "الدولة الجسر" باعتبارها جسر او حلقة بين دولتين مركزيتين مثلما كانت اثناء الحرب الباردة الى دولة مركزية.
٤. اتباع سياسة متعددة خارجيا، منطلقة من ان علاقات تركيا مع الدول ليست بديلة بعضها عن البعض بل ان علاقاتها متكاملة يكمل أحدها الأخر.

٥. سياسة "الدبلوماسية المتناغمة"، والتي تهدف الى ان يكون لتركيا دور بارز على الساحة الدولية من خلال حل النزاعات الدولية بطرق دبلوماسية وجعلها عضواً في العديد من المحافل الدولية واستضافة الفعاليات والملتقيات الدولية والعمل على ان يكون لها دور فاعل في الارتقاء بعمل هذه المحافل. (اوغلو، ٢٠١٠: ٦١٢-٦١٤)

من هذا المنطلق كانت منطقة القوقاز عموما وأذربيجان خاصة تقع ضمن اهتمامات حكومة تركية وسياستها المتعددة الدوائر (سياسياً واقتصادياً وعسكرياً) مع الأخذ بمبدأ التوازن الدولي في منطقة القوقاز عامة واذربيجان تحديداً، خاصة أنها الدولة الأكثر ارتباطاً بتركيا في منطقة القوقاز وتأتي بعدها جورجيا، بينما لاتزال علاقات تركيا مع أرمينيا مضطربة بسبب ادعاءات أرمينيا بمذابح الأرمن ١٩١٥ ومطالبة أرمينيا بأراضي حدودية تركية، فكانت أذربيجان الأفضل لتركيا لتكون نقطة لموازنة التنافس الدولي في منطقة القوقاز، وشملت العلاقات بين الدولتين مجالات عدة.

تمثلت علاقات الدولتين سياسياً بالزيارات المتبادلة عالية المستوى ومنها مثلاً زيارة الرئيس التركي السابق عبدالله كول(٢٠٠٧-٢٠١٤)[5] الى أذربيجان في اب ٢٠١٠، وزيارة وزير الخارجية التركي أحمد داود اوغلو في عام ٢٠١٣ ولقائه نظيره الاذربيجاني (ألمار مامادباروف) لبحث سبل التعاون والمستجدات الإقليمية، كما كانت انقرة المحطة الأولى التي زارها الرئيس الاذري الهام علييف [6](٢٠٠٣- ....) بعد توليه الحكم لولاية رابعة، وجاءت الزيارة بناءً على وعد قطعه لرئيس الوزراء التركي آنذاك رجب طيب اردوغان[7] (٢٠٠٣-٢٠١٤)، كما زار الأخير أذربيجان في أول زيارة خارجية له بعد فوزه برئاسة الجمهورية التركية(٢٠١٤-.....)، وفي عام ٢٠١٥، زار رئيس الوزراء التركي أحمد داود اوغلو اذربيجان بصحبة وزير الخارجية مولود جاويش اوغلو. (ريا، ٢٠١٨)؛ (وزارة الخارجية التركية، ٢٠١٥)

وفي المقابل زار رئيس اذربيجان الهام علييف تركيا بدعوة من عبدالله كول عام ٢٠١٣، اذ جرى خلال الزيارة تبادل الاوسمة الدولية بين الرئيسين، وأشار كول خلال مؤتمر صحفي على هامش الزيارة الى أهمية الصداقة والاخوة بين بلده وأذربيجان قائلا: "بحثنا المواضيع المتعلقة بوحدة الأراضي الأذربيجانية وتحرير الأراضي الأذربيجانية التي تعتبر قضية إقليمية وقضية وطنية بالنسبة لأذربيجان والتي تعتبر قضية وطنية بالنسبة لنا أيضا". (وزارة الخارجية التركية، ٢٠١٥)

كان من نتائج هذه الزيارات التوقيع على العديد من الاتفاقيات بين الدولتين كان ابرزها "اتفاقية مجلس التعاون الاستراتيجي رفيع المستوى" في ١٦ /٢٠١٠/٨ التي وقعها رئيسا البلدين وتهدف الى تعزيز علاقاتهما في شتى مجالات التعاون وينعقد المجلس بشكل سنوي و دوري في كلا العاصمتين ويبحث تطورات العلاقات بين الطرفين، ففي الاجتماع الثالث للمجلس الذي عقد في ٢٠١٣/١١/١٣ برئاسة رئيس الوزراء آنذاك رجب طيب اردوغان والرئيس الأذري الهام علييف، جرى التوقيع على عدد من الاتفاقيات، منها "اتفاقية التعاون العلمي والتقني بين هيئة الابحاث العلمي التركية واكاديمية العلوم الوطنية الاذرية، مذكرة تفاهم في مجال العلوم والصناعات بين وزارة الصناعة والتكنولوجيا التركية ووزارة تكنولوجيا الاتصالات والعلوم الاذرية"، اضافة الى اتفاقية نقل دولي مشترك بين الدولتين واتفاقية تبادل القوى العاملة بين الدولتين. (وزارة الخارجية التركية، ٢٠١٣)

وفي أذار ٢٠١٦ عقد الاجتماع الخامس للمجلس وجرى خلاله توقيع ستة اتفاقيات تعزز العلاقات بين البلدين في مجالات الطاقة والدفاع والقضاء والتعاون الأمني والتقني، وفي ٢٥ /٢٠١٨/٤ عقد الاجتماع السابع للمجلس وتم التفاهم حول التعاون في مجال التطوير الالكتروني بين وزارتي النقل والاتصالات في الدولتين من قبل وزيري الاتصالات، كذلك جرى توقيع مذكرة تفاهم حول المفاوضات بشأن "اتفاقية التجارة التفضيلية بين البلدين" واتفاقية إنشاء مراكز ثقافية وآليات عملها كذلك اتفاق تبادل الافراد بين الدولتين. (الكويتية، ٢٠١٦)

من جهة أخرى كان تأسيس " المجلس التركي للدول الناطقة بالتركية" صيغة أخرى للتعاون بين البلدين، وبينهما وبين بقية الدول الأعضاء في المجلس التركي الذي تأسس عام ٢٠٠٩، ويضم بالإضافة لتركيا وأذربيجان، كلا من كازخستان وقيرغيزيا واوزباكستان، وهذا المجلس معني باحتضان فعاليات الدول الأعضاء في مجال السياسة والتعليم والاقتصاد والدفاع واعلن عن تأسيسه يوم ٢٠١٠/٩/١٦، ويتكون من عدة دوائر هي " مجلس الزعماء ، مجلس وزراء الخارجية، أصحاب اللحى البيضاء (إشارة الى أصحاب الرأي والقادة القادمين من هذه البلدان)، لجنة كبار الموظفين والأمانة العامة في إسطنبول"،(أوغلو،2019) والهدف الرئيسي من المجلس هو رغبة تركيا في إضفاء طابع مؤسسي لعلاقاتها بهذه الدول، فيما يخص العلاقات مع أذربيجان فان البيانات الختامية لكل اجتماعات المجلس أكدت على ضرورة الحفاظ على وحدة أراضي أذربيجان ودعمها في قضية قره باغ وضرورة إيجاد صيغة لحفظ الأمن والاستقرار على حدود أذربيجان. (البياتي، ٢٠١٦: ٢١٧)

رغم المستوى العالي والوثيق من العلاقات بين تركيا وأذربيجان، الا ان هذه العلاقات كانت قد شهدت نوعا من الفتور خلال المدة ٢٠٠٩ – ٢٠١٠ على خلفية تطبيع علاقات تركيا مع أرمينيا ضمن سياستها في حل النزاعات مع دول الجوار ولكسب نفوذ أكبر ودعم في منطقة القوقاز وأملاً منها في انهاء العداء بينهما حول المذابح الارمنية والمطالبة بأراضي حدودية مع تركيا، إذ جرى في العام ٢٠٠٩ التوقيع على اتفاق تركي – أرمني كان من بنوده تبادل البعثات الدبلوماسية وتشكيل لجان لحل الخلافات بين الدولتين وفتح الحدود خلال شهرين بعد مصادقة برلمانات الدولتين عليها، وقد اثارت هذه الاتفاقيات حفيظة أذربيجان، اذ أصدرت وزارة الخارجية الأذرية بيانا أوضحت من خلاله ان تطبيع العلاقات بين تركيا وأرمينيا وفتح الحدود قبل تسويه مشكلة قره باغ تمثل زعزعة لاستقرار المنطقة ويتناقض مع مصالح أذربيجان وعلاقاتها مع تركيا، وهو ما دفع تركيا إلى أرسال رسائل تطمين لأذربيجان كان أولها الزيارة التي قام بها رئيس الوزراء اردوغان إلى باكو والقائه كلمة أمام البرلمان الأذري قال فيها: " ان تركيا لن تفتح الحدود مع أرمينيا ما لم تنه الأخيرة احتلالها للأراضي الأذربيجانية ... وانه يجب ان تحرر لان تركيا ترغب بحل جميع النزاعات وفتح الحدود بين جميع الدول". (العبيدي، ٢٠١٢: ٧٢)؛ (وكالة الأنباء السعودية، ٢٠٠٩)هذه التطمينات ربما جعلت القيادات في أذربيجان تتقبل التطبيع نوعاً ما على أمل أن يكون خطوة لحل المسائل مع أرمينيا، الا أن التصريحات الأرمينية بأن الاتفاق مع تركيا ليس له علاقة بالأراضي الآذرية، جعل الاذربيجانيين يوقنون بأن هذه الاتفاقية لن يكون لها أي مردود إيجابي لأذربيجان ولا يحمل أي حل سلمي لقضية قره باغ وأراضي أذربيجان التي تحتلها أرمينيا، لذا شهدت أذربيجان حملة لمنع فتح الحدود التركية الأرمينية، فشعبياً تم جمع توقيعات تحت شعار " لنمنع فتح الحدود التركية – الأرمينية" وتوجيه طلب إلى حكومة تركيا بعدم فتح حدودها مع أرمينيا، كذلك زار وفداً لعدد من منظمات المجتمع المدني الأذرية تركيا

والتقى بالمسؤولين الاتراك لغرض حثهم على عدم فتح الحدود مع أرمينيا الا بعد حل قضية الأراضي الأذربيجانية المحتلة. أما رسمياً، فقد رفض الرئيس الأذربيجاني الهام علييف دعوة موجهة له من نظيره التركي لحضور منتدى ائتلاف الحضارات الذي نظمته الأمم المتحدة في إسطنبول في ٢٠١٠/٤/٦، رداً على الاتفاق ، ورغم اتصال الرئيس التركي ووزيرة الخارجية الامريكية هيلاري كلينتون(٢٠٠٩-٢٠١٣) بالرئيس الاذربيجاني لحثه على الحضور الا انه رفض، ولتجاوز هذا الفتور الذي طرأ على العلاقات مع أذربيجان بسبب التطبيع مع أرمينيا، سعت تركيا الى طمأنة أذربيجان، اذ صرح اردوغان بأنه ليس لدى تركيا نية إقامة علاقات وفتح الحدود مع ارمينيا قبل استعادة أذربيجان لأراضيها المحتلة. (العبيدي، ٢٠١٢: ٨١-٨٢)؛ (مرهون، ٢٠٠٩)

كانت هذه التطمينات وفشل عملية التطبيع مع ارمينيا سباباً في عودة العلاقات الوثيقة بين الدولتين، فضلاً عن أن تركيا تدرك ان أي فتور او تدهور في العلاقات مع أذربيجان سيوثر سلبا في وجودها في منطقة القوقاز ومصالحها الاستراتيجية فيها.

من جهتها تقف أذربيجان وتساند تركيا في عدد من المواقف والقضايا، فعلى اثر محاولة انقلاب ٢٠١٦/٧/١٥ الفاشلة في تركيا، أصدرت الحكومة الأذربيجانية بيان اكدت من خلاله دعمها لحكومة تركيا المنتخبة ديمقراطيا، معربة عن أمل أذربيجان في عوده الاستقرار الى تركيا، كما حظرت أذربيجان أي نشاط للداعية فتح الله غولين المتهم بالتخطيط للانقلاب، اذ قامت حكومة أذربيجان بغلق عدد من المدارس التابعة لغولين وشمل هذا الغلق ١١ مدرسة ثانوية و١٣ مركز امتحاني جامعي وجامعة القوقاز، على الرغم من ان هذه المنشآت التعليمية هي من افضل المنشآت التعليمية في أذربيجان، كما اعتقلت أجهزة الأمن الاذرية مجموعة من الأشخاص يشتبه بعلاقتهم مع جماعة فتح الله غولين وحسب التحقيقات فقد اصدر جهاز أمن الدولة الأذري بيان جاء فيه:" تم العثور في شقة أحد المتهمين المدعو (فؤاد احمدلي) على منشورات تتعلق بفتح الله غولين واقراص ليزرية فضلا عن وثائق تثبت علاقته مع فتح الله غولن"، (قناة المنار، ٢٠١٦) كما أيدت أذربيجان تركيا في العديد من المسائل ومنها التدخل في الازمة السورية. (YESEVI & Tiftikcigil, 2015)

ثالثاً: العلاقات التركية – الأذربيجانية في المجال الاقتصادي٢٠٠٢-٢٠١٧

يعد التعاون الاقتصادي ابرز سمات علاقات تركيا مع أذربيجان والتي يمكن وصفها بالمتميزة اذ تعود إلى بدايات استقلال أذربيجان واستكمالاً لهذه العلاقات المتميزة فقد عملت حكومة العدالة والتنمية على تعزيزها بعقد اتفاقيات عديدة شكلت أساساً قانونياً لهذا التعاون ومنها:" اتفاق للتعاون الاقتصادي والتجاري طويل المدى ٢٠٠٤، بروتوكول زيادة التبادل التجاري وافتتاح معابر حدودية وإنشاء مناطق تجارة حرة عام ٢٠٠٥، بروتوكول اللجنة الاقتصادية المشتركة في مجالات التعاون الاقتصادي والتجاري والاستثماري في عام ٢٠٠٧"(البياتي، ٢٠١٦: ٢٦٩-

٢٧١) ونتيجة لهذه الاتفاقيات ارتفع المؤشر التجاري بين الدولتين، اذ كانت صادرات تركيا الى أذربيجان عام ٢٠٠٢ تبلغ (٢٢٢,٧) مليون دولار ارتفعت بصورة تدريجية ليصل إلى (٥٦٢) مليون دولار في عام ٢٠١٢ وقرابة(١,٢٨٥) مليار دولار في عام ٢٠١٧، أما صادرات أذربيجان الى تركيا فقد بلغت في ٢٠٠٢ (٦١)مليون دولار ارتفعت الى (٥٢٩) مليون دولار في ٢٠١٢ بينما بلغت في عام ٢٠١٧ (٥٣٠) مليون دولار. (YESEVI & Tiftikcigil, 2015)

ويشغل قطاع الاستثمار حيزاً كبيراً من التعاون الاقتصادي للدولتين، خاصة بعد أن احتلت أذربيجان المرتبة الأولى بين (١٤٠) بلد تشجيعا للاستثمارات وفق معايير الأمم المتحدة في عام ٢٠٠٤ مما شجع على تدفق الاستثمارات التركية الى أذربيجان وتوزعت هذه الاستثمارات في قطاعات المقاولات والاتصالات وتصنيع السيارات والمنسوجات والتعليم ومشاريع الطاقة، وتقدر استثمارات تركيا في أذربيجان في عام ٢٠١٧ بقرابة (١١) مليار دولار منها (٩) مليارات في قطاعات الطاقة و (٢) مليار في غيرها من القطاعات، وبلغت المشاريع التي انجزتها شركات تركية في أذربيجان قرابة (٥٠٠) مشروع من بينها مشاريع خدمية منها " مطار باكو – سوبسا الدولي، ومبنى البنك المركزي الوطني، مصانع البتروكيمياويات في باكو" وعدد من مشاريع البنى التحتية، أما عدد شركات تركيا التي تعمل في أذربيجان فبلغ (١٢٦٦) شركة و (٥) الاف من الايدي العاملة التركية. (شبكة أخبار القوقاز، ٢٠١٩)؛ (البياتي، ٢٠١٦: ٣٠٢)

اما حجم الاستثمارات الأذربيجانية في تركيا فبلغ(١٤,٥) مليار دولار بواقع (١٣) مليار في قطاعات الطاقة و (١,٥) مليار في قطاعات أخرى، وتأتي أذربيجان ثالثاً في ترتيب الاستثمارات الدولية في تركيا بعد قطر وبريطانيا، ومن اجل زيادة حجم التبادل التجاري تم أنشاء خط سكك حديدية بين اذربيجان وتركيا وجورجيا اذ يمتد هذا الخط من العاصمة الأذرية باكو الى تبليسي في جورجيا ثم الى ولاية قارص في تركيا، وقد جرى افتتاح المشروع الذي سمي (طريق الحرير الحديدي) في ٢٠١٧/١٠/٢٩ ويساهم في نقل قرابة (٥٠)مليون طن من البضائع سنوياً و قرابة مليون مسافر. (وكالة الانباء الأذربيجانية، ٢٠١٨)

وتاتي مشاريع الطاقة في الدرجة الأولى اقتصاديا بين الدولتين، إذ ان أذربيجان تملك ثروات وموارد الطاقة من نفط وغاز تفتقر اليها تركيا وفي الوقت نفسه تزداد حاجتها الى هذه الموارد لمد صناعاتها المتنامية وكثافتها السكانية، وهي احدى أسباب التوجه التركي نحو أذربيجان ومنطقة القوقاز، بما يمكن ان يسمى ب "دبلوماسية الطاقة" وهو مطلب تدعمه الولايات المتحدة الامريكية وفق تقارير صادرة عن مركز ابحاث الكونغرس تشير الى ضرورة ايجاد بدائل عن النفط والغاز الروسي والإيراني.(ميراك–فايسباخ و واكيم،2014)

أول مشروع للتعاون كان خط انابيب نفط "باكو – تبليسي – جيهان BTC " ورغم إن المشروع أسس له في فترة سابقة إلا إنه توقف منذ عام ١٩٩٩ واعيد العمل به عام ٢٠٠٣ بسعي من الولايات المتحدة الامريكية، أما

المشروع نفسه فكان من المقرر ان يمر عبر أذربيجان الى إقليم نخجوان وإلى جنوب شرقي تركيا ثم إلى ميناء جيهان، إلا إن قرب إقليم نخجوان من حدود أرمينيا ومروره بمنطقة الجنوب الشرقي من تركيا والذي يشهد توتراً نتيجة عمليات "حزب العمال الكردستاني التركيpkk"، والمخاطر الناجمة عن ذلك جعلت حكومة انقرة تدخل جورجيا على خط المشروع بدلاً من اقليم نخجوان ومنها إلى منطقة أرضروم ومنها إلى مدينة قيصري ليتوجه بعدها إلى مرفئ جيهان على البحر المتوسط، أُكمل المشروع في تموز ٢٠٠٦ وتم افتتاحه بحضور رؤوساء الدول الثلاث واطلق على هذا المشروع مشروع القرن أو طريق الحرير للقرن الواحد والعشرين بتكلفة بلغت (٣,٩) مليار دولار. (YESEVI & Tiftikcigil, 2015)؛(السلمي،2016 :١٤-١٥)

يوفر هذا الخط عدة مزايا لتركيا فهو يزيد من أهميتها استراتيجيا بحيث تصبح دولة ممر لمصادر الطاقة إلى اوروبا، كما يوفر لتركيا الحصول على النفط بأسعار تنافسية، اضافة الى ميزة الحصول على موارد الطاقة من مصادر عدة وعدم اعتمادها على مصدر أو اثنين، فتركيا تستورد ٥٠% من موارد الطاقة من روسيا، وهو أمر خطير يمكن أن يستخدم كورقة ضغط ضد تركيا، أما بالنسبة لأذربيجان فانه يوفر لها إمكانية نقل نفطها إلى أسواق أوروبا عن طريق أكثر أمناً ويجنبها التأثيرات الروسية. (السلمي،2016)

أسهم اكتشاف الغاز الطبيعي في أذربيجان وتحديداً في حقول شاه دنيز على بحر قزوين بزيادة تعاون البلدين في مجالات الطاقة، إذ جرى الاتفاق على تصدير الغاز الأذربيجاني من حقل شاه دنيز والذي تبلغ طاقته الانتاجية حوالي (٦١ -٢٠) مليار م٣ سنويا عبر جورجيا وتركيا إلى السوق العالمية وتحديداً الأوروبية وجرى التوقيع على انشاء خط نقل الغاز الأذري " باكو – تبليسي – ارضروم BTE " والذي يمتد لمسافة (٣٥٠٠) كم وتبلغ قدرته الإنتاجية (٢,١)مليون م٣ سنوياً، وبلغت تكلفة المشروع (١,٣) مليار دولار وفي ٣ /٢٠٠٧/٧ بدء تصدير الغاز من حقل شاه دنيز الى تركيا. (البياتي، ٢٠١٦: ٢٩٢-٢٩٣)

وفي عام ٢٠١٣ جرى الاتفاق على تطوير خط نقل الغاز من حقل شاه دنيز ٢ وانشاء خط نفط الى الجنوب من خط (باكو- تبليسي- أرضرومBTE) وهو مشروع غاز تاناب وهو الجزء الأول الذي ينقل الغاز من حقل شاه دنيز٢ إلى جورجيا ثم إلى تركيا، أما الجزء الثاني والمعروف بـ(تاب) فينقل الغاز من الحدود التركية الى اوربا، وتبلغ تكلفة خط تاناب (١٠) مليار دولار وقد اسهم البنك الدولي بتمويل المشروع بـ(٨٠٠) مليون دولار تقسم بين شركة النفط الوطنية التركية (توباش) والشركة الوطنية الأذربيجانية (سوكا) ويبلغ طول مشروع تاناب (١٨٥٠) كم ويمر في٢٠ ولاية تركية وينتهي عند حدود تركيا مع اليونان، ومع انتهاء المرحلة الأولى من المشروع في عام ٢٠١٨ يتم ضخ (١٦) مليار م٣ سنوياً من الغاز بواقع (٦) مليار م٣ لتركيا و(١٠) مليار يصدر إلى أوربا، ويعد افتتاح مشروع تاناب خطوة مهمة لتركيا إذ ستصبح نقطة اتصال خطوط الطاقة في العالم ونقطة مرجعية للسوق العالمي كما أنه سيساهم بدعم التعاون بين البلدين . (الشرق الأوسط، ٢٠١٩)

رابعاً: التعاون في المجال العسكري ٢٠٠٢-٢٠١٧

شملت علاقات تركيا مع أذربيجان المجالات العسكرية والأمنية، ففي عام ٢٠٠٢ وقع الجانبان بالإضافة الى جورجيا اتفاقية لتشكيل مفارز أمنية لغرض حماية انابيب النفط في الدول الثلاث من أي هجمات تخريبية، وبين عامي ٢٠٠٤ و ٢٠٠٥ حصلت أذربيجان على مساعدات نقدية تركية فضلا عن مساعدات بمعدات عسكرية، وشهد عام ٢٠٠٧ زيارة وزير الدفاع الأذري لتركيا ومشاركته في افتتاح معرض الصناعات الدفاعية التركي في العاصمة انقرة، وجرى خلال الزيارة عقد عدة لقاءات بين خبراء عسكريين من كلا البلدين كان من نتائجها اشتراك أذربيجان في مشروع تركي لإنتاج الأسلحة الخفيفة والمتوسطة، كما جرى خلال الزيارة توقيع صفقة تسليح بـ(٢) مليون دولار لشراء مدرعات عسكرية ومعدات عسكرية أخرى، و شهد عام ٢٠١٠ التوقيع على "اتفاقية التعاون الاستراتيجي العسكري " (تحالف عسكري)، وتضمن الاتفاق مساعدات تركية في حال تعرضت أذربيجان لأي خطر خارجي وقد أشار وزير الدفاع الأذري إلى هذه الاتفاقية قائلا:" نريد من تركيا تشكيل جيش واحد لحماية أراضينا من الاحتلال الأرميني، وان تركيا ستكون معنا في هذا الامر" (Oztarus, 2017) ، وقد اثارت هذه الاتفاقية حفيظة أرمينيا وحليفتها روسيا مما جعل تركيا تقدم تطميناً لهذه الدول اذ صرح أحمد داؤود اوغلو لصحيفة ملليت قائلا : " ان اتفاقية الشراكة الاستراتيجية العسكرية ليست ردا على أي بلد اخر في المنطقة، اي ليست ردا على اتفاقية الشراكة بين روسيا وارمينيا، وان التعاون العسكري بين انقرة وباكو يمثل مراعاة احتياجات كلا البلدين وانه سيكون اكثر شمولا في المستقبل ويعد علاقة واضحة للصداقة الأبدية مع أذربيجان". (الشبوط ،2017)

وفي عام ٢٠١١ جرى الاتفاق بين البلدين على ان تقوم "القوات التركية" بتولي تدريب نظيرتها الأذرية في مدارس عسكرية تركية، والمشاركة في دورات تدريب فرق(الكوماندوز) الأذرية ، كما جرت بمشاركة الدولتين تدريبات عسكرية مشتركة في إسطنبول شملت محاربة الإرهاب ودورات للوقاية من السلاح الكيميائي وتدريبات لفرق طبية عسكرية، وشهد العام التالي ٢٠١٢ اجراء مناورات عسكرية شاركت فيها إلى جانب تركيا وأذربيجان جورجيا في انقرة سميت (الخلود ٢٠١٢) خلال الأيام ٢٥- ٢٨ أيلول لرفع التأهيل الدفاعي، وقد جرى الاتفاق على تناوب الدول الثلاثة استضافت هذه المناورات سنوياً، وفي نفس العام وبموجب اتفاقية التعاون الاستراتيجي العسكري زودت تركيا القوات الأذربيجانية بـ(٣٥) سيارة مدرعة من طراز كوبرا و (٣٧) عربة مشاة مدرعة و (٥١) عربة من طراز (لاندرفير ويفيندير) تركية الصنع وقدر مبلغ هذه المساعدات بقيمة (٢٠,٧) مليون دولار، كما جرى عقد صفقة مع أذربيجان بقيمة (١,٥) مليار دولار، شملت اسلحة هجومية وطائرات مسيرة وعن هذه الصفقة تحدث وزير الدفاع التركي وجدت كونول الى صحيفة اكشام قائلا: " أن هذا التعاون بين البلدين مهم واستراتيجي، وأن المساعدات العسكرية التركية لاذربيجان تجاوزت (٢٠٠) مليون دولار، .... أن أذربيجان تشارك في مشروع لإنتاج طائرات مروحية تركية الصنع (ATAK) ".(الشبوط، 2017)

شاركت أذربيجان أيضا مع كل من تركيا وإيطاليا في صناعات عسكرية مشتركة والخاصة بإنتاج أجهزة المراقبة والذخائر والمعدات الالكترونية العسكرية كما اعلن وزير شؤون الصناعات الدفاعية الأذربيجانية (ياور جامالوف) عن اشتراك بلاده في صناعة (مدفع هاون) بالاشتراك مع تركيا، ويبدو أن فشل عملية التطبيع مع أرمينيا كان وراء زيادة وتيرة الاتفاقيات العسكرية بين الطرفين وهو ما صرح به رئيس الأركان نجدت اوزال في زيارة الى باكو في ٢/٨/ ٢٠١٢ عندما قال :" بعد فشل المفاوضات مع الأرمن بشأن الأراضي المحتلة في إقليم قره باغ وفشل مفاوضات مجموعة مينسك المكلفة بحل النزاع، فان الخيار العسكري هو المحتمل في هذه المرحلة ".(الشبوط،2015)

يمكن القول ان تركيا تهدف الى رفع مستوى التعاون العسكري مع أذربيجان وعلى مقربة من أرمينيا الى ايجاد نوع من توازن القوى مع الوجود الروسي الداعم لأرمينيا خاصة بعد فشل تطبيع العلاقات وتدويل قضية مذابح الأرمن.

وفي عام ٢٠١٤ اجتمع وزراء الدفاع في البلدين واتفقوا على زيادة التعاون العسكري وزيادة وتيرة المناورات وبشكل دوري تحت مسمى (نسر القوقاز) فجرت مناورات عسكرية في ١٢ /٢٠١٥/٥ بين الجيشين التركي والأذري في باكو ونخجوان في أذربيجان ولمدة خمس أيام حتى ١٦ /٥ وبحضور وزير الدفاع الأذري ذاكر حسنوف وقائد القوة البرية التركي اوميد دوندار، وشهد عام ٢٠١٦ مناورات ثلاثية بين أذربيجان وجورجيا وتركيا لرفع القدرات القتالية لقواتها، كذلك شاركت أذربيجان ضمن مناورات في تركيا استمرت لمدة ١٥ يوم.(العربي الجديد،2015)

كما شهد عام ٢٠١٧ مناورات اخرى تركية – اذربيجانية للفترة ١٨–٣٠ /٩ في اذربيجان ، تحت مسمى (مناورات النسر التركي –الآذري) بهدف رفع قدرة سلاح الطيران في البلدين. (ترك بوست، ٢٠١٧) (هيئة الاذاعة والتلفزيون التركية TRT، ٢٠١٨)

يعد التحالف بين الدولتين عسكريا محور مهم و استراتيجي في منطقة القوقاز التي تشهد تنافسا دوليا، لاسيما بين روسيا والولايات المتحدة الامريكية التي تدعم هذا التحالف، وهو رسالة موجهة لارمينيا التي تمثل تهديدا للدولتين، ومن جهة اخر يمثل التحالف العسكري فرصة لتركيا لتسويق صناعاتها الدفاعية الناشئة.

–النتائج :

ويمكن ادراج اهم النتائج فيما يلي:

١– علاقات تركيا واذربيجان قائمة على مرتكزات عدة تمثلت في امتلاك الدولتين لتاريخ وثقافة ولغة مشتركة ساعدت على اقامة علاقات متقدمة.

٢- تحاول كلا الدولتين الاستفادة من الموقع الحيوي للدولة الاخرى لتحقيق مصالحها، فأذربيجان توفر لتركيا مدخل إلى منطقة وسط اسيا والقوقاز كما توفر لها موطئ قدم في منطقة تعج بالمنافسات الدولية ، اما تركيا فتوفر لأذربيجان منفذا بحريا لتصدير منتجاتها الحيوية من موارد الطاقة الى اوربا .

٣- تحظى العلاقات الثنائية بين البلدين بتأييد الولايات المتحدة الامريكية والغرب، فرغم تفكك الكتلة الشيوعية وانتهاء الحرب الباردة لازالت تركيا تحتفظ بأهميتها كونها الجناح الشرقي لحلف الناتو وخط الدفاع الاول عن المصالح الغربية في منطقة القوقاز واسيا الوسطى الغنية وبتحالفها مع اذربيجان تؤمن هذه المصالح.

٤- تسعى تركيا إلى الافادة من حاجة اذربيجان لموانئ لتصدير مواردها الطبيعية من نفط وغاز ، في تنويع مصادرها لاستيراد موارد الطاقة والافادة من مرور انابيب نقل هذه الموارد من أراضيها للحصول على اسعار تفضيلية ورسوم مرور خطوط النقل عبر أراضيها، كما أن هذا الأمر يجعل منها مركز استراتيجي مهم يمثل عقدة تقاطع لخطوط نقل النفط والغاز إلى أوروبا.

٥- دفع توتر علاقات الدولتين مع أرمينيا إلى سعيهما لإقامة تعاون عسكري على مستوى متطور تمثل بعقد اتفاقيات عسكرية تنص على اجراء تعاون عسكري في مجالات التسليح والمناورات والمساعدات العسكرية .

٦- تعمل الدولتين لإنشاء صناعات عسكرية مشتركة تقلل من اعتمادهما على الصناعات العسكرية الغربية، إذ ان الاعتماد على الغرب في تسليح الدولتين يشكل ورقة ضغط ضدهما في العديد من المسائل الخلافية مع الغرب وعلى رأسها مسألة قره باغ وقضية المذابح الارمنية التي تدعمها العديد من الدول الغربية.

٧- تحاول اذربيجان من خلال تبنيها لنظام الحكم العلماني وعلاقاتها مع تركيا ان تكون جزء من العالم الغربي الرأسمالي، والاستفادة من مشروع حلف الناتو للتوسع شرقا وهو الامر الذي يضمن لها مواجهة المشروع الروسي لإعادة النفوذ في منطقة القوقاز

٨-كرؤية مستقبلية فان العلاقات بين البلدين يمكن ان تشكل نواة لتحالف اقتصادي جديد يمكن ان يضم دول من اسيا الوسطى او منطقة بحر قزوين والبحر الأسود ويوفر لتركيا دور الزعامة الذي تبحث عنه، كما يوفر لأذربيجان مكانة دولية مهمة ضمن محيطها الاقليمية او ضمن السياسة الغربية.

-الهوامش:

(1) توركوت اوزال: ولد في مالاطيا في ١٩٢٧ انهى دراسة الكهرباء في جامعة اسطنبول التقنية عام ١٩٥٠، عمل في ادارة شؤون الكهرباء، ثم ارسل عام ١٩٥٢ الى الولايات المتحدة الأمريكية للتخصص في اقتصاد الهندسة، عاد بعدها الى تركيا ليعمل مستشاراً فنياً في المديرية العامة للكهرباء، ثم انتقل ليصبح سكرتيراً للجنة التخطيط للفترة ١٩٥٨-١٩٥٩، وبين عامي ١٩٦١-١٩٦٥ عمل اوزال مساعداً لمدير عام ادارة شؤون الكهرباء ، بدأ حياته السياسية عندما انتمى في عام ١٩٧٠ الى حزب العدالة

واصبح مستشاراً لزعيمه سليمان ديمرئيل، وفي العام ١٩٧٧انتمى الى حزب السلامة الوطني الاسلامي، وبعد استقالت حكومة بولنت اجاويد طلب منه ديمرئيل العمل معه وترك له الاقتصاد واتاح له صلاحيات واسعة، ولخبراته الاقتصادية اعتبرته الهئية العسكرية لانقلاب ١٩٨٠ مستشاراً اقتصادياً لها، وفي عام ١٩٨٣ اسس حزب الوطن الام، تولى اوزال منصب رئيس وزراء تركيا للفترة ١٩٨٣-١٩٨٩، ورئيسا لجمهورية تركيا للفترة ١٩٨٩-١٩٩٣.للمزيد من التفاصيل ينظر : سعد عبد العزيز مسلط، التعليم الديني في تركيا المعاصرة، (الموصل :٢٠١٠)،ص ٧٥.

(2) يرى مركز "خدمة أبحاث الكونغرس" ان الدور التركي كحليف للولايات المتحدة بعد الحرب الباردة أصبح اكثر أهمية نظر لقرب تركيا من العديد من مناطق التنافس والنزاع العالمية، كما ان موقع تركيا وفق نظر مركز ابحاث الكونغرس له اهمية بالغة في تقليل الاعتماد على امدادات النفط والغاز الإيراني عن طريق اقامة مشاريع لنقل النفط والغاز من حقول شاه دنيز العلاقة في اذربيجان. للمزيد من التفاصيل ينظر: موريال ميراك-فايسباخ وجمال واكيم ، السياسة الخارجية التركية تجاه القوى العظمى والبلاد العربية منذ العام ٢٠٠٢، ط١ (بيروت:٢٠١٤)، ص ص ٩٠-٩١.

(3) اقليم ناكورني قره باغ: يقع اقليم قره باغ المتمتع بحكم ذاتي في الجنوب الشرقي من جبال القفقاس الصغرى وتبلغ مساحته ٤٣٩٢كم، يبلغ عدد سكانه حسب احصائية عام ١٩٧٩ (١٦٢٢٠٠)نسمة منهم (١٢٣٠٠٠)من الارمن و(٣٧٢٦٤) من الاذربيجان فضلا عن وجود عدد من القوميات الاخرى، يرجع الخلاف بين الارمن والاذربيجانيين حول قره باغ الى عام ١٩١٨ اذ طالب الأرمن بضم الاقليم الى أرمينيا بالرغم من عدم وجود حدود بينهما واستمر هذا الخلاف حتى بعد اقامة الحكم السوفيتي في أذربيجان وأرمينيا لعام ١٩٢٠. وفي تموز ١٩٢١ منح السوفيت اقليم قره باغ حكم ذاتي تابع لأذربيجان، ساد الاستقرار في الاقليم حتى عام ١٩٨٨، اذ تجدد العداء بين الارمن والاذربيجانيين مرة اخرى وبلغ ذروته اثر تفكك الاتحاد السوفيتي وسيطرت ارمينيا على الاقليم بعد الحرب مع اذربيجان ١٩٩٢-١٩٩٤ ولا يزال الخلاف قائما حتى يومنا هذا. للمزيد من التفاصيل ينظر: طلال يونس الجليلي،" ناغورني قره باغ: التنافس والنزاع والمتغيرات الدولية"، مجلة تنمية الرافدين، العدد (٣٠) ايار ١٩٩٢،ص ص ١٥-١٦.

(4) احمد داود أوغلو: يوصف بانه مهندس السياسة الخارجية التركية، ولد عام ١٩٥٩، حاصل على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية من جامعة البسفور، عمل خارج تركيا للفترة ١٩٩٠-١٩٩٥، وبين عامي ١٩٩٥-١٩٩٩ عمل في جامعة مرمرة، وشغل منصب رئيس قسم العلاقات الدولية في جامعة بايكنت، بعد تسنم حزب العدالة والتنمية للحكم عين اوغلو مستشاراً لرئاسة مجلس الوزراء ثم وزيراً للخارجية ٢٠٠٩-٢٠١٤، اصبح رئيساً للوزراء بين عامي ٢٠١٤-٢٠١٦. للمزيد من التفاصيل ينظر: احمد داود أغلو، العمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل،(الدوحة:٢٠١٠)،ص ٦٤٥.

(5)عبد الله كول رئيس السابق، مواليد ١٩٥٠، خريج معهد العلوم الاقتصادية جامعة اسطنبول، التحق بمعاهد جامعية بريطانيا، حاصل على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد، عمل بين عامي ١٩٨٣-١٩٩١ خبيرا في بنك التنمية الاسلامية، انتمى الى حزب

الرفاه وشارك في انتخابات ١٩٩١ وبعد فوزه عين نائبا لرئيس الحزب، وفي عام ١٩٩٥ تولى منصب وزير الدولة للعلاقات الخارجية، بعد حظر حزب الرفاه انضم كول لحزب الفضيلة، وهو احدى اعضاء تيار التجديد الذي اسس حزب العدالة والتنمية عام ٢٠٠١،تولى منصب رئيس جمهورية تركيا بين عامي ٢٠٠٧-٢٠١٤. للمزيد من التفاصيل ينظر : نوال عبد الجبار سلطان طاهر الطائي، تجربة حزب العدالة والتنمية في تركيا، سلسلة شؤون اقليمية (١٣)،(الموصل،٢٠٠٧)،ص ١٩.

(6) الهام علييف: الرئيس الحالي لأذربيجان، ولد عام ١٩٦١في العاصمة الآذرية باكو، التحق بعد اكماله الثانوية بمعهد موسكو للعلاقات الدولية في جامعة موسكو، حاصل على الدكتوراه من نفس الجامعة، يتحدث فضلا عن اللغة الآذرية الانكليزية والروسية والفرنسية والتركية ، عمل محاضرا واستاذا في جامعة موسكو، وفي عام ١٩٩٤تولى منصب رئيس الشركة العامة للنفط في اذربيجان وعضو في مجلس الأمة الاذري ، في عام ٢٠٠٣ اصبح رئيساً للوزراء والمرشح الوحيد ليخلف والده حيدر علييف لرئاسة اذربيجان، انتخب رئيسا لأذربيجان عام ٢٠٠٣. للمزيد من التفاصيل ينظر: " من الهام علييف" ، موقع الجزيرة متاح على الرابط https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2017/2/25(تم الوصول الى الموقع بتاريخ ٢٠٢٠/٦/١٨)

(7) رجب طيب اردوغان: ولد عام ١٩٤٥ في اسطنبول، اكمل دراسته الاولية في مدارس(امام – خطيب) الدينية، التحق بجامعة مرمرة وحصل على شهادة البكالوريوس في الادارة والمحاسبة، دخل العمل السياسي بانضمامه الى حزب السلامة الوطني عام ١٩٧٥، ثم حزب الرفاه عام ١٩٨٣ وترشح في الانتخابات المحلية عام ١٩٩٤ لمنصب عمدة اسطنبول وفاز فيها بالفعل، انضم بعد حظر حزب الرفاه الى حزب الفضيلة الذي اسسه نجم الدين اربكان ، الا انه انشق عنه مع بعض رفاقه ليؤسس حزب العدالة والتنمية الحاكم، تولى منصب رئيس وزراء تركيا للفترة ٢٠٠٣-٢٠١٤، ثم رئيسا للجمهورية التركية منذ عام ٢٠١٤. للمزيد من التفاصيل ينظر: شريف تغيان، الشيخ بالرئيس رجب طيب اردوغان ... مؤذن اسطنبول ومحطم الصنم الاتاتوركي ،(دمشق: ٢٠١١)، ص ص ١٥-١٨.

المراجع

[1]Ismailzade, F. (2018). *hptt:||Turkish policy.com/artical/165/*. Retrieved 10 23, 2019, from Turkish policy.

[2]Oztarus, M. F. (2017). *Azerbaycan ve turkiye Askeri iliskileri*. Retrieved 11 2, 2019, from www.turansan.org/makale.php/id=175.

[3]YESEVI, C. G., & Tiftikcigil, B. Y. (2015). Turkey-Azerbaijan Energy Relations: A Political and Economic Analysis. *International Journal of Energy Economics and Policy*, pp. 27-44.

[4]ابراهيم خليل العلاف .(2008) .*نحن وتركيا دراسات وبحوث*(المجلد ,1 الموصل :جامعة الموصل ،مركز الدراسات الإقليمية).

[5]أحمد داؤود اوغلو .(2010) .*العمق الأستراتيجي :موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية*(المجلد ,1 ,المترجمون ,حمد جابر ثلجي، طارق عبد الجليل، الدوحة :الدار العربية للعلوم ناشرون.)

[6]احمد ملي .تموز .(2014),التنافس الدولي على حوض بحر قزوين .*مجلة الدفاع الوطني اللبنابي*، صفحة.53

[7]الشرق الأوسط .(14 3, 2019) .تركيا تستقبل 4 مليارات متر مكعب من الغاز عبر خط تاناب نهاية العام .*الشرق الأوسط*)العدد.(14716

[8]العربي الجديد .(12 5, 2015) .*مناورات عسكرية مشتركة بين أذربيجان وتركيا* .تاريخ الاسترداد2019 ,12 25 ، من https://www.alaraby.co.uk/amp//flashnews/2015/5/12/العربي الجديد.

[9]ترك بوست .(14 9, 2017) .*مناورات عسكرية جوية مشتركة بين تركيا وأذربيجان* .تاريخ الاسترداد2019 ,11 21 ، من https://turk-post.net/p-218817.

[10]جلال السلمي .(2016) .*تركيا :خطوط نقل الطاقة - المردود والآفاق*(المجلد 1 القاهرة :المعهد المصري للدراسات.)

[11]سرمد خليل ابراهيم البياتي .(2016) .*التوجهات السياسية والاقتصادية التركية حيال دول اسيا الوسطى بعد الحرب الباردة وافاقها المستقبلية*(المجلد .1 بغداد :دار السنهوري.)

[12]سعد عبد المجيد .(تشرين الثاني .1999),أهداف ومرتكزات الاستراتيجية التركية في القوقاز .*السياسة الدولية*، صفحة 189.

[13]شبكة أخبار القوقاز .(26 8, 2019) .*تركيا تخطط لزيادة التبادل التجاري مع أذربيجان* .تاريخ الاسترداد 2019 ,11 7 ، من https://Coucas news.nex.

[14]صحيفة الصباح .(6, 3, 2016) .*تطورات العلاقات التركية –الانرية* .تاريخ الاسترداد2019 ,10 26 ، من Daily Sabah.com/Arabic/Politics/2016/3/6.

[15]صحيفة الكويتية .(15 3, 2016) .*تركيا واذربيجان توقعان 16 اتفاقية للتعاون* .تاريخ الاسترداد2019 ,11 9 ، من www.alkawaityah.com/article.aspx?id=349845.

[16]عبد الجليل زيد مرهون .(2009 ,4 7) .*اذربيجان وقضية الحدود التركية –الأرمنية*، صحيفة الرياض .تاريخ الاسترداد 5 12, 2019، من.www.Alriyad.com

[17]عقيل سعيد محفوض .(2012) .*السياسة الخارجية التركية :الأستمرارية والتغيير*(المجلد .1 الدوحة :المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.)

[18]قناة المنار .(2016 ,8 20) .*اذربيجان تعتقل أشخاص لهم صلة ب فتح الله غولن* .تاريخ الاسترداد2019 ,10 18 ، من www.manartv.com.lb.

[19]مجدي أبو ريا .(2018) .*أبعاد العلاقات التركيةالأذربيجانية....الأخوة والمصالح* .تاريخ الاسترداد2019 ,11 2 ، من www.noonpost.com.

[20]محمد خليفة .(كانون الأول ,1990)البنية الأمنية في النظام الدولي الجديد الدور التركي في الشرق الأوسط والخليج العربي:العوامل والمعالم .*مجلة المنبر*، الصفحات.45-42

[21] محمد عبد الرحمن يونس العبيدي .(تموز ,2012)تطبيع العلاقات التركية – الارمنية دراسة في المواقف الاقليمية والدولية .*دراسات إقليمية*، صفحة.72

[22]محمد غسان الشبوط .(2015 ,7 2) .*تركيا مابين الماضي والحاضر :الاقتصاد التركي والاستثمارات الاجنبية" الدوافع والمعوقات* ."تاريخ الاسترداد2020 ,6 19 ، من المركز الديمقراطي العربي.https://democraticac.de/?p=16179

[23]محمد غسان الشبوط .(2017 ,9 16) .*تركيا وتطور الصناعات العسكرية* .تاريخ الاسترداد2020 ,6 19 ، من موقع المركز الديمقراطي العربي.https://democraticac.de/?p=49204

[24]محمد نورالدين .(1998) .*تركيا الجمهورية الحائرة :مقاربات في الدين والسياسة والعلاقات الخارجية* .بيروت :رياض الريس للكتب والنشر.

[25]موريال ميراك–فايسباخ، و جمال واكيم .(2014) .*السياسة الخارجية التركية تجاه القوى العظمى والبلاد العربية منذ العام 2002*(المجلد,1 ,بيروت :شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.)

[26]ناظلي يوزباشي أوغلو .(2019 ,9 1) .*المجلس التركي 10 سنوات من التعاون بين الأشقاء* .تاريخ الاسترداد ,11 9 2019، من.www.printfriendly.com/p/a/uyxzzh

[27]هيئة الاذاعة والتلفزيون التركية .(10 5, 2018) .TRT *بحضور رئيس الأركان التركي ..انطلاق مناورات" أفس 2018" في إزمير* .تاريخ الاسترداد2019 ,11 9 ، من.http://www.trtarabi.com/archive/

[28]وزارة الخارجية التركية .(2013) .*انعقاد الاجتماع الثالث للمجلس الاستراتيجي العالي المستوى بين تركيا واذربيجان في أنقرة* .تاريخ الاسترداد2019 ,11 3 ، من.www.mfo.gov.tr

[29]وزارة الخارجية التركية .(2015) .*بيان حول الزيارة التي سيجريها السيد وزير الخارجية إلى اذربيجان* .تاريخ الاسترداد 3 ,11 2109، من.www.mfa.gov.tr

[30]وزارة الخارجية التركية .(2015) .*زيارة رئيس جمهورية اذربيجان لتركيا* .تاريخ الاسترداد2019 ,11 3 ، من www.mfa.gov.tr.

[31]وكالة الانباء الأذربيجانية .(24 10, 2018) 14,5 .*مليار دولار حجم استثمارات اذربيجان في تركيا* .تاريخ الاسترداد 25, 12, 2019، من.https://azertag.az/ar/xeber/arabic-1207657

[32]وكالة الأنباء السعودية .(11 10, 2009) .*اذربيجان تندد بالاتفاق بين تركيا وأرمينيا* . تاريخ الاسترداد2019 ,12 5 ، من.www.spa.gov.sa